

هذه الاسوار.

ولم يكن مندلسون، او غيره، قادراً على تحقيق هذا الهدف وتحطيم الاسوار الخارجية للغيتو دون المرور بمرحلة سابقة هي مرحلة تحطيم النفوذ الكهنوتي، واستبداده، وسيطرته على النفس اليهودية من الداخل، من طريق نظام التعليم الديني وحصار الطقوس المضروب، باحكام، على سكان الغيتو.

ومن اجل تحقيق هذا الهدف وتحطيم الاسوار الداخلية للغيتو ولبناتها الدينية كان تركيز حركة الهسكلاه ودعاتها من الفلاسفة والادباء على ضرورة تغيير نظام التعليم الديني والمزج بينه وبين التعليم العصري القائم على منجزات العقل في العلوم الطبيعية والانسانية.

وكان من الطبيعي ان تنمو حركة الهسكلاه، وان تصل، في النهاية، الى حد المجابهة الكاملة مع السلطة الكهنوتية وسيطرتها على كل وجوه الحياة اليهودية.

ولو شئنا ان ننتقي من مآثرات حركة الهسكلاه ماثورة تعبر عن هذه المجابهة الشاملة لفضلنا ماثورة يهودا ليف غوردون، شاعر الهسكلاه الكبير، وهي الماثورة التي وردت في نهاية قصيدته «استيقظ يا شعب، ١٨٦٣»، والتي يقول فيها مخاطباً اليهودي: «كن يهودياً في بيتك، انساناً خارج بيتك»^(١).

فهذه الماثورة تلخص جوانب المجابهة مع السلطة الدينية، حيث تكشف عن الهدف الرئيس لحركة الهسكلاه، والذي يتمثل في تقليص نفوذ الكهنة ودفعه الى الانحسار عن ممارسات اليهودي في جوانب الحياة المختلفة، وتحديد هذا النفوذ في نطاق الدور الاخلاقي والطقس المحدود الذي كان غلب على دور رجال الدين المسيحيين في الحياة الاوروبية بعد سقوط سلطة الاقطاع والدين معاً، وانفتاح الحياة البشرية على آفاق المعرفة العقلانية، من ناحية، وعلى افكار الوحدة القومية، من ناحية اخرى.

ولقد كان من الطبيعي، في نطاق هذا الهدف، ان يأتي ادب الهسكلاه، او الادب المتعاطف مع دعوتها، في شكل وعظي او تعليمي، ليتسنى له الدعوة الى الهدف واستمالة العقول والعواطف اليه، كما نرى في ادب افراهام مابو (١٨٠٨ - ١٨٦٨) القصصي، او في اعمال مندلي موخير سفاريم (١٨٣٥ - ١٩١٧) القصصية، او في اشعار يهودا ليف غوردون. ونتيجة لهذا الطابع الوعظي في ادب الهسكلاه، فان الاهتمام بالنفس اليهودية وما تمر به من اشكال الصراع، في اثناء عملية التحول من الطابع المعزول للحياة في النطاق الديني والجغرافي للغيتو الى الطابع الانساني المتفتح والمندمج في اشكال الحياة الواسعة، كان شبه معدوم في هذا الادب. فلقد كان التركيز كله على الهدف، وبالتالي كان الابطال الادبيون يمثلون نماذج للاقتحام تخترق اسوار الغيتو الداخلية والخارجية لتنفذ الى العالم الواسع، ومعارفه، ومباهجه، غير آبهة بالمعارضة، او الاعتراض الديني، او الاجتماعي، ولا معنية بتراتها العقلي والنقسي الموروث.

ويبدو ان الاهداف التي حققتها حركة الهسكلاه، منذ نشأتها في منتصف القرن الثامن عشر، كانت كافية على مدى زمني يتجاوز قرناً من الزمان حتى العام ١٨٨٠ وهو العام الذي يؤرخ به لنهاية مرحلة الهسكلاه الفلسفية والادبية في المصادر المختلفة^(٢).

فلقد انفتحت اليهود بالفعل خلال تلك الفترة على لغات الشعوب التي تجاورهم واندمجوا، الى حد لا بأس به، في نظمها التعليمية والمعيشية.